من تراكيب النفي في العربية

"ما كان ليفعل" وما يقاربه

دراسة دلالية نحوية

محمد عبدالله جبر سلومة

جامعة الإسكندرية

تركيب النفي أحد التراكيب التي لا يستغني عنها نظام نحوي؛ فهو المقابل السلبي لتركيب الإثبات؛ أي: التركيب الخبري الموجب، الذي يُعدُّ التركيب الأساسي في الدرس النحوي قديمه وحديثه. وربما لا يخلو نظام نحوي أو بلاغي من تناول لصُوَر تركيب النفي المتنوّعة؛ من حيث كونها مقابِلة لتراكيب ذات خصائص نحوية معيَّنة، ومن حيث تأديتها لأغراض بلاغية يتطلبها المقام، ومن حيث المكوِّنات والشروط اللازمة لتحقُّق الصحة النحوية.

وقد نال تركيب النفي في العربية عناية النحويين منذ بدأ الاهتمام بتعرُّف الفروق بين صُوَر التراكيب اللغوية المعبِّرة عن المعاني النحوية من إخبار واستفهام وتوكيد ونفي؛ فللجملة الاسمية ـ في كل ذلك وغيره ـ أنماط تُباين ما للجملة الفعلية ـ في كثير أو قليل ـ من الخصائص؛ من حيث العناصر المفردة من أسْماء استفهام أو شرط، أو أفعال ناسخة دالَّة على التحوُّل أو الاستمرار، أو المقاربة أو الشروع، أو حروف للنفي أو التوكيد، وغير ذلك من المعاني؛ فعرضوا لنَفْي الجملة الاسمية في تناولِهم للفعل الناسخ " ليسَ "، ثم الأحرف المشبَّهات به عقب الباب، كما ألحقوا بباب الأحرف الناسخة فصلاً اختصُّوا به " لا " النافية للجنس، وعرضوا لنَفْي الفعل المضارع في باب الأحرف التي تجزم فعلاً مضارعًا واحدًا، وفي باب نواصب المضارع.

ولا أجد تفسيراً لما في هذا التناول من توزُّع إلا بأن أُحسِن الظن بأولئك العلماء؛ فأرى أن هذا الصنيع قائم على أساس من النظر إلى الناحية الشكلية؛ أعني أنهم قد اعتنوا بما شغَل أذهان الحريصين على السلامة اللغوية من صحَّة الضبط الإعرابيّ في المقام الأول، وكأنهم سلَّموا من بداية الأمر بأنَّ مُستعمِل اللغة على وعيٍ بالمعاني التي يقصد إلى بيانها، وأن موطن الاهتمام إنَّما هو العلامة الإعرابية؛ لأنها مِمَّا يُوضِّح العلاقات النحوية في التركيب اللغوي.

ولقد فعلوا مثل ذلك مع تراكيب تعبِّر عن معانٍ أُخَر، منها التوكيد؛ إذ أفردوا لبعض عناصره بابًا خاصًّا؛ لأنها تتعرَّض للتغيُّر الإعرابي تبَعًا للحالة الإعرابية لما تؤكِّده. ولم يخصُّوا الاستفهام بباب مستقِلٍّ؛ إذ تنتمي جملته إلى أحد النمطَين العامَّين: الجملة الاسْمية والجملة الفعلية، ويجري على تركيب الاستفهام ما يجري على الجملة التي ينتمي إليها. ولم يعرضوا لنَفْي الفعل الماضي لأنه ليس معرَّضًا للتغيُّر الإعرابي، وخصُّوا الشرط بالتناول إذا كان في تركيبه مضارعان مجزومان، ثم عرضوا لـ " لَوْ " و " لَوْلا " استكمالاً للموضوع.

وكان توزُّع تناول النحويين لتلك التراكيب على مواضع متفرقة في أبواب النحو موضع نقد؛ فقد أشار الأستاذ إبراهيم مصطفى في مقدِّمة كتابه "إحياء النحو"(١) إلى أنه قد كان يجدر بالنحويين أن يجمعوا في تناول منفرد وشامل كلَّ واحد من تلك التراكيب وأمثالها، واستعمل كلمة " أساليب " يشير بها إليها، وطبَّقت الكتب المدرسية شيئًا من رأيه هذا فأشاعت الكلمة؛ فصار في النحو التعليمي: "أسلوب التوكيد" و"أسلوب النداء" و "أسلوب الشرط" وما إلى ذلك من تعبيرات يُراد بكلٍّ تركيب مخصَّص لمعنًى من المعاني النحوية التي ذكرتُ جانبًا منها آنفًا.

ولا شك في صحة الرأي الذي ارتآه الأستاذ إبراهيم مصطفى وفي جدواه من الناحيتين: العلمية والتعليمية؛ فدراسة الظاهرة اللغوية تكتمل بالإحاطة بصُوَرها المتنوّعة، والتعلُّم المتفرِّق يظل في ذهن المتعلم أمشاجًا حتى يحتويها إطار فتتضح علاقاتها، فيكتسب التعلّم معناه ويكون له الأثر المْنشود.

وأحسب أن بعض الاستعمالات اللغوية ـ ممَّا عرَض له النحويون بالتقعيد ـ يحتاج إلى قدْر من العناية بتناوله بالوصف والتحليل والموازنة، ورصْد ما يؤدِّيه التركيب النحوي من دلالات. من ذلك بعض صُوَر المنادَى ممَّا يُعرَف بالنكرة

(١) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو ص ٣ ـ ٦، ط. ١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧ م.

المقصودة وغير المقصودة، وبعض صُوَر تركيب " لا سيَّما " ممَّا يكون فيه الاسم بعدها معرفة، أو نكرة، أو تكون له حالة إعرابية دون غيرها، وبعض صُوَر البدل الملتبسة بعطف البيان، وتلك أمثلة.

وربما يُظن أن ميدان الدراسة في هذا الاتجاه إنَّما هو البلاغة دون غيرها من مجالات الدرس اللغوي، لكننا نجد الدراسات الحديثة التي تتناول "الأسلوب" والأدبي بخاصة، تستفيد من الدرس النحوي كما تستفيد من الدرس البلاغي، وهذا مما يقدِّم نفعًا مَرجُوًّا. وعلم المعاني يستفيد من الدرس النحوي في تحليل التراكيب والموازنة بين صُوَرها من أجل بيان تفاوتها في التعبير عن المعنى وتميُّز بعضها بدرجة من القَبول لدَى المتلقِّي تزيد على ما لِسِواه؛ لشيءٍ من الاختلاف في عناصره؛ بالذكر أو الحذف، والتقديم أو التأخير، والتعريف أو التنكير لأحد طرَفي الإسناد أو كليهما، وبغير ذلك من الخصائص التي ترجع إلى التركيب النحوي.

وقد خصصتُ هذه الدراسة لتناول بعض تراكيب النفي في العربية كانت عناية كتب النحو بها محدودة من حيث جانب المعنى ـ وإن تكن مسَّتْ شيئًا منه ـ وأعني التركيب الذي ترِد فيه " لام الجحود " وقد تابعتُ تسميتَه تركيب " ما كان لِيفعلَ " وهو صنيع سيبويه، وضممتُ إليه صورة مناظرة له من حيث الجانب المعنوي؛ فهي تفيد النفي أيضًا، وفي عناصرها شبه بعناصر ذلك التركيب ولكنها تنتمي إلى تراكيب النفي العامة؛ فلَم يَخُصّها النحويون بدرس مستقِلّ ولم يطلقوا عليها اسْمًا خاصًّا؛ فاخترتُ أن أسَمِّيها باسم: تركيب " ما كان له أن يفعلَ "، وهدفي من ضمِّه الموازنة بين التركيبين من حيث العناصر النحوية، ومن حيث ما يُمكن لكل واحد منهما أن يؤدِّيه من معانٍ.

ووجدتُ ممَّا يفيد في هذا الأمر أن أشير إلى صورتين أخريين من صُوَر النفْي تقِلُّ إحداهما في عناصرها النحوية عن التركيب الأول، وتحمل الأخرى عنصرًا

مختلفًا؛ فأما الصورة الأولى فسَمَّيتُها: تركيب " ما كان يفعلُ "، وأما الأخرى فسَمَّيتُها: تركيب " ما كان فاعلاً ".

وجعلتُ مَجال البحث الآيات القرآنية التي وردَتْ فيها الصوَر التركيبية المذكورة، وكان هذا التوجُّه قائمًا على أساسَين:

أولُهما: أن القرآن الكريم يمثِّل نصًّا متجانسًا من حيث المستوى اللغوي.

والثاني: أنه تتعدَّد فيه أغراض المعاني النحوية بتنوُّع المقامات التي يتناولُها التعبير اللغوي.

فجمعتُ من الآيات القرآنية كلَّ ما ورد من التركيبَين الأوَّلين ونماذج تمثِّل الآخرَين.

وكان من الضروري أن أرجع إلى تفاسير النحويين أستطلع ما عندهم من أوجُه فَهْم تلك التراكيب، وأهم هذه التفاسير: معاني القرآن للفَرَّاء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجَّاج، والكشَّاف للزمخشري، والبحر المحْيط لأبي حيان. ولقد وجدتُ في كل واحد منها فوائد انفرد ببعضها وشارك غيره في بعض.

كذلك كان من اللازم الاستعانة بأهمِّ كُتُب الْمفردات النحوية: مُغني اللبيب لابْن هشام الأنصاري.

وأما كُتُب التقعيد النحوي فقد رأيتُ أن أجمع بين طرَفيْ مراحل تأليفها؛ فلم أكن لأُغفِل "الكتاب" لسيبويه ممثِّلاً لأَقدَمِها، وما كان لى أن أدَعَ "هَمْعَ الْهوامع" للسيوطي ممثِّلاً للتأليف المتأخر زمنًا فاستفاد ممَّا سبقه من مؤلَّفات.

وقد تبيَّن لى من الآيات القرآنية التي تناولَها البحث تنوُّع معاني التركيب المتضمِّن لام الجحود، فجعلتُ لِهذا التنوُّع تدرُّجًا من عشر مراتب، استنبطتُ بعضها ممَّا ورد في تفسير عدد من الآيات عند الزمخشري أولاً ثم أبي حيان، ثم أضفتُ إليه ما رأيتُه صالحًا لأن يكون متمِّمًا لتنوُّع مراتب الْمعاني، مع مراعاة ما يناسِب القائل ويوافق الأغراض التي يمكن فهمها من التراكيب. وفعلتُ ذلك أيضًا

مع الآيات في الأقسام الثلاثة الأخرى، وكان الهدف من ذلك أن أتعرَّف الفروق في المعاني ـ أو تنوُّعها ـ مع التغيُّر في صُوَر التراكيب.

وهذا التدرُّج يتضمَّن المعاني الآتية:

الاستحالة ـ التنْزيه ـ العَجْز ـ الامتناع ـ التحريم ـ الزَّجْر ـ النَّهْي ـ النَّفْي المؤكَّد ـ النَّفْي ـ الانبغاء

وفيما يلي الآيات المتضمِّنة للتركيبَين الأوَّلَين ومواضعها في القرآن الكريم:

الآيات التي ورد فيها التركيب " ما كان لِيفعلَ "

١. " وما كان اللهُ لِيُضيعَ إيمانَكم " (١٤٣: البقرة)

٢. " ما كان اللهُ لِيَذَرَ المؤمنين على ما أنتم عليه " (١٧٩: آل عمران)

٣. " وما كان اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْب " (١٧٩: آل عمران)

٤. " لَم يكن اللهُ لِيَغفرَ لَهم " (١٣٧: النساء)

٥. " لَم يكن اللهُ لِيَغفرَ لَهم " (١٦٨: النساء)

٦. " ما كانوا لِيُؤمنوا إلاَّ أن يشاء اللهُ " (١١١: الأنعام)

٧. " وما كنَّا لِنهتديَ لولا أن هدانا اللهُ " (٤٣: الأعراف)

٨. " فما كانوا لِيُؤمنوا بما كذَّبوا من قبلُ " (١٠١: الأعراف)

٩. " وما كان اللهُ لِيُعذِّبَهُمْ وأنتَ فيهم " (٣٣: الأنفال)

١٠. " فما كان اللهُ لِيَظلِمَهم... " (٧٠: التوبة)

١١. " وما كان اللهُ لِيُضِلَّ قومًا بعد إذ هداهم " (١١٥: التوبة)

١٢. " وما كان المؤمنون لِينفِروا كافة " (١٢٢: التوبة)

١٣. " وما كانوا لِيُؤمنوا " (١٣: يونس)

١٤. " فما كانوا لِيُؤمنوا بما كذَّبوا به من قبلُ " (٧٤: يونس)

١٥. " وما كان ربُّك لِيُهلِكَ القُرَى بظلم " (١١٧: هود)

١٦. " ما كان ليأخذَ أخاه في دين الملك " (٧٦ : يوسف)

١٧. " قال : لَمْ أكنْ لأسجُدَ لبشر خلقتَه من صلصال " (٣٣ : الحجر)

١٨. " وما كان اللهُ ليَظلِمَهم... " (٤٠ : العنكبوت)

١٩. " فما كان اللهُ ليَظلِمَهم... " (٩ : الروم)

٢٠. " وما كان اللهُ ليُعْجِزَه مِنْ شيءٍ " (٤٤ : فاطر)

٢١. " وما كان هذا القرآنُ أن يُفترَى " (٣٧ : يونس)

الوصف النحوي للتركيب : " ما كان ليفعل "

أعني بيان مُكوِّنات التركيب وعناصره اللغوية. وهو يرِد على صورتين :

١. " ما " النافية، ثم " كان " الناقصة، ثم اسمها ظاهراً أو مضمراً، ثم يُقدَّر خبر مناسب لَها يصلح لأن تتعلَّق به لام التعليل الجارَّة التالية، ثم تُقدَّر " أنْ " مصدرية ناصبة للمضارع التالى محذوفة وجوبًا، ثم المضارع المنصوب بِها، ثم فاعل له أو نائب عن الفاعل، ويغلب أن يكون في صورة ضمير يعود على اسم "كان "، وقد يكون أجنبيًّا مع وجود ضمير يعود على اسم " كان "، فيدخل فيه السبَبي، ويكون المصدر المؤوَّل من " أنْ " والمضارع مجروراً باللام، وتتعلق اللام بخبر " كان " المحذوف.

٢. " لَمْ "، ثم مضارع " كان " الناقصة مجزومًا، ثم سائر العناصر المذكورة قبلاً[١].

وأحرف النفي التي لا ترِدُ في هذا التركيب هي : لَنْ، لا، إنْ، لَمَّا الجازمة. ولا يرِدُ اسم " كان " مصدراً مؤوَّلاً.

والصورة الأولى أكثر وروداً في القرآن الكريم؛ فقد تكررت في ١٨ آية، واقتصر سيبويه[٢] على ذكرها، ووردت الصورة الأخرى في ٣ آيات فقط، ولم يعرض لَها

(١) هذا مجمل ما في كتب التقعيد النحوي المعروفة متفرِّقًا صُغتُه هكذا وأضفتُ ما لم تُشِرْ إليه.

(٢) سيبويه : الكتاب ١ : ٤٠٨ الأسطر ١٣ - ١٩ ط. بولاق ١٣١٦ هـ.

سيبويه، ولم يُسمِّ اللام بالاسم الاصطلاحي الذي عُرفت به بعده.

وأورد ابن هشام أنه قد تُحذف " كان " قبل اللام كقول الشاعر(١):

فَمَا جَمْعٌ لِيَغْلِبَ جَمْعَ قَوْمِي مُقَاوَمَةً، وَلاَ فَرْدٌ لِفَرْدِ

أيْ: فَمَا كان جَمْعٌ، وقولِ أبي الدرداء ر في الركعتَين بعد العصر: ما أنا لأدَعَهما(٢)؛ كأنه يعني: ما كنتُ لأدعهما.

وهذا الحذف الذي ذكره ابن هشام وكأنه استعمال شائع ـ حتى إنه أورد له شاهداً شعريًّا وآخر من النثر ـ لا ذِكر له في مواضع حذف " كان " في باب النواسخ الفعلية في كتب التقعيد النحوي، وربما لا نجد غير هذين الشاهدين على جواز حذف " كان " قبل لام الجحود، وقد نفى أبو حيان الأندلسي(٣) والسيوطي(٤) وقوعها تاليةً لمفرد كما وردت في الشاهدين، لذلك لا أرى ما تُفهِمه عبارة ابن هشام من كون ذلك جزءاً يتمِّم القاعدة الأساسية للتركيب. على أن من النحويين من قدَّر للبيت تركيباً يُخرِجه من أن تليَ اللامُ مفرَداً(٣).

يتضح من الآيات أن مرفوع المضارع المنصوب بعد اللام ورد مرة واحدة اسْمًا ظاهراً في قوله تعالى: "وما كان اللهُ لِيُعْجِزَه مِنْ شيءٍ" (٤٤ : فاطر)، وورد في ٢٠ آية ضميراً بارزاً أو مستتراً. ولكنَّنا نجد أبا حيان الأندلسي يذكر رأيًا لابن هشام الفِهْريّ (تُوُفيَّ سنة ٥٧٠ هـ) يوجب أن يكون هذا المرفوع ضميراً عائداً على الاسم السابق ويمنع كونه سببيًّا " فلا يجوز أن تقول: ما كان زيدٌ لِيقومَ أخوه؛ لأنه سببي"، وعقَّب أبو حيان بقوله: "ولا نعلم أحداً نبَّه على ذلك إلاَّ ابن هشام"(٣) ونصَّ صاحب المغني على أنَّ "كان" و"يكُنْ" تُسنَدان إلى ما يُسنَد إليه الفعل

(١) هو عمرو بن معديكرب.

(٢) ابن هشام: مغني اللبيب ٣ : ١٦٨ اللام المفردة تحـ عبد اللطيف الخطيب ط. الكويت ٢٠٠٢ م.

(٣) أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضَّرَب ٤ : ١٦٥٩ تحـ رجب عثمان، ط. الخانجي، ١٩٩٨ م.

(٤) السيوطي: همع الهوامع ٤ : ١٠٨ تحـ عبد العال سالم، ط. الكويت، ١٩٧٩م.

المقرون باللام[١]. وقرَّر الأشموني أنَّ " الفعل بعد لام الجحود لا يرفع إلا ضمير الاسم السابق "[٢]؛ يقصد اسم " كان " .

وذكر السيوطي قول الفهري إنَّ لام الجحود " لا يرفع مدخولُها السببي "[٣].

وأقول إن مجيءَ هذا المرفوع أجنبيًّا في آية فاطر ـ مع ندرة وقوعه ـ يسمح بأن نقول بإمكانه إذا وُجِد ضمير يعود على اسم كان، فيصِحُّ رفع السببي.

وفي آية واحدة ورد التركيب بغير لام الجحود، وهو استعمال فرد، ورد في قول الله تعالى: "وما كان هذا القرآنُ أن يُفترَى" (٣٧: يونس)، فقال أبو حيان: ويزعم بعض النحويين أنَّ " أَنْ " هذه هي المُضمرة بعد لام الجُحود في قولك: ما كان زيدٌ لِيفعلَ، وأنه لَمَّا حُذِفت اللام ظهرت "أَنْ"[٤] وأنَّ اللام و" أَنْ " يتعاقَبان؛ فحيث جِيءَ باللام لم تأتِ بـ "أَنْ"، بل تقدِّرها، وحيث حُذفت اللام ظهرتْ "أَنْ". ثم قال: " والصحيح أنهما لا يتعاقبان، وأنه لا يجوز حذف اللام وإظهار " أَنْ "؛ إذْ لم يقُمْ دليل على ذلك "[٤]. ورأى في موضع آخر أنَّ اللام تقوية لتَعْدِية خبر " كان " إلى المصدر المُنسبك من " أَنْ " المضمرة والفعل بعدها، وأنَّ اللام صارت " كالعِوَض من " أَنْ " المحذوفة ولذلك لا يجوز حذف هذه اللام ولا الجمع بينها وبين " أَنْ " ظاهرة "[٥].

ومعظم النحويين يوجبون حذف " أَنْ " لكن بعض النحويين البصريين أجاز إظهارها مع حذف اللام، نحو: ما كان زيدٌ أن يقومَ، واحتجَّ بقول الله تعالى: "وما كان هذا القرآنُ أن يُفترَى" (٣٧: يونس) قال ابن الأنباري: "العرب تُدخِل

(١) ابن هشام: مغني اللبيب ٣: ١٦٨ اللام المفردة تحـ عبد اللطيف الخطيب ط .الكويت ٢٠٠٢ م.

(٢) الأشموني: شرح الألفية ٣: ٥٥٨ تحـ محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ م.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٥: ١٥٧، ط. السعادة، ١٣٢٨ هـ.

(٥) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط ٣: ٣٧٣، ط. السعادة، ١٣٢٨ هـ.

"أَنْ" في موضع لام الجحود فيقولون: ما كان عبدُ الله أنْ يظلمَك، ولم يكنْ محمدٌ أنْ يختصمَك" ثم قال: "ولا موضع لِـ " أَنْ " من الإعراب [يريد عدم مصدريتها] لأنها أفادت ما أفادت اللام"(١).

وللرضي مثل هذا القول في الآية المذكورة؛ فهو يرى أن التركيب "كان أصله لِيُفترَى، فلما حُذفت اللام ـ بناءً على أنَّ حذف اللام مع "أَنْ" و"أنَّ" جائز ـ جاز إظهار "أَنْ" الواجبة الإضمار بعدها؛ وذلك لأنها كانت كالنائبة عن " أَنْ "(٢).

وأجاز بعض الكوفيين إظهار " أَنْ " بعد اللام توكيداً، ورأيُ ابن الأنباري أن التركيب: ما كان عبدُ الله لأَنْ يزورَك " ما يجيزه كوفيٌّ ولا بصريٌّ "(٣).

هذا ما يتضمَّنه الوصف النحوي لتركيب لام الجحود " ما كان لِيفعلَ " .

الآيات التي ورد فيها التركيب " ما كان له أن يفعلَ " :

١. " أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين " (١١٤ : البقرة)

٢. " ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة ثم يقول للناس.." (٧٩ : آل عمران)

٣. " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله " (١٤٥ : آل عمران)

٤. " وما كان لنبي أن يغلّ " (١٦١ : آل عمران)

٥. " وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً " (٩٢ : النساء)

٦. " قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق" (١١٦ : المائدة)

٧. " قال: فاهبط منها، فما يكون لك أن تتكبر فيها " (١٣ : الأعراف)

٨. " وما يكون لنا أن نعود فيها " (٨٩ : الأعراف)

٩. " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض" (٦٧ : الأنفال)

١٠. " ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله..." (١٧ : التوبة)

---

(١) ابن عقيل: المساعد ٣ : ٧٧، تحـ محمد كامل بركات، نشر جامعة أم القرى، ١٩٨٤ م.

(٢) رضي الدين الإستراباذي: شرح الكافية ٤ : ٦٢ تحـ يوسف حسن عمر، بنغازي ١٩٩٦ م.

(٣) ابن عقيل: المساعد ٣ : ٧٧، تحـ محمد كامل بركات، نشر جامعة أم القرى، ١٩٨٤ م.

١١ . " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين " (١١٣ : التوبة)

١٢ . " ما كان لأهل المدينة ومَن حولَهم من الأعراب أن يتخلفوا" (١٢٠ : التوبة)

١٣ . " قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسي " (١٥ : يونس)

١٤ . " وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله " (١٠٠ : يونس)

١٥ . " ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء " (٣٨ : يوسف)

١٦ . " ما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله "(٣٨ : الرعد)

١٧ . " وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله "(١١ : إبراهيم)

١٨ . " ما كان لله أن يتخذ من ولد . سبحانه " (٣٥ : مريم)

١٩ . " ولولا إذ سمعتموه قلتم : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا " (١٦ : النور)

٢٠ . " فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها" (٦٠ : النمل)

٢١ . " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة . . . أن يكون لَهم الخِيَرةُ " (٣٦ : الأحزاب)

٢٢ . " وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله " (٥٣ : الأحزاب)

٢٣ . " ما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله " (٧٨ : غافر)

٢٤ . " و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا " (٥١ : الشورى)

الوصف النحوي للتركيب : " ما كان له أن يفعلَ "

يرِد هذا التركيب على صورتين :

١ . " ما " النافية، ثم " كان " الناقصة، ثم لام الجر، مع مجرورها الظاهر أو الضمير (واللام تتعلق بخبرٍ لِـ " كان " مقدَّم محذوف)، ثم " أنْ " المصدرية، ومعمولها المضارع المنصوب، ومرفوعُه قد يتَّحِد مع الاسم المجرور باللام، وقد يكون غيره، والمصدر المؤوَّل اسمٌ لِـ " كان "، ويلزَم وجود " عُلْقة " أيْ: ما يربط الاسم والخبر، وهو ضمير مطابق .

٢ . "ما" النافية، ثم "يكون" مضارع "كان" الناقصة، ثم العناصر المذكورة قبلاً .

وهذه الصورة أقلّ وروداً من سابقتها (خمس مرات في مقابل تسع عشرة) .

وأحرف النفي التي لم ترِد في هذا التركيب هي : لن، لا، إنْ النافية، لَمّا الجازمة .

ولا يرِد اسم "كان" مصدراً مؤوّلاً .

هذا الوصف هو ما أدّى إليه تتبُّعي للاستعمال القرآني، صُغتُه مجتهداً أن يشمل التحققات المعروفة في الغربية كما نُقِلت إلينا .

ولم يتعرّض النحويون لتناول هذا التركيب تناولاً خاصًّا؛ إذ إنه يمثِّل ـ من الناحية النحوية المجرَّدة ـ نَمطًا مألوفًا من أنْماط تراكيب " كان " الناقصة .

وأمَّا ما يؤدّيه كل واحد من هذين التركيبين من تفاوت في درجات المعنى فأتناوله فيما يلي بقدر من التفصيل؛ بعرض ما قدّمه النحويون من معانٍ، وما قدّمه المفسِّرون ـ من النحويين خاصة ـ في المواضع التي وردا فيها من القرآن الكريم .

المعاني التي يؤدِّيها تركيب " لام الجحود "

أولاً : في كتب النحو

حين عرض سيبويه(١) لهذا التركيب مثَّل له بعبارة : " ما كان لِيفعلَ " ، وكان جُلُّ همِّه في تناوله توضيح مكوِّناته النحوية، حتى إن كلامه كان منصبًّا على أن "اللام قد تجيء في موضع لا يجوز فيها [يشير إلى أنْ المصدرية الناصبة للمضارع] الإظهار، .....وصارت [يعني اللام] بدلاً من اللفظ بأنْ " ، واهتمَّ بأن يجعل المصدر الصريح في موضع المصدر المؤوَّل من أنْ والفعل، قال : " وكأنَّك إذا مثَّلتَ قلتَ : ما كان زيدٌ لأنْ يفعلَ؛ أيْ : ما كان زيدٌ لِهذا الفعل؛ فهذا منزلتُه " ، ولكنه ـ مع هذا ـ لم يُغفِل المعنى النحويّ العامّ للتركيب ـ أعني النفي ـ فقال " ودخل فيه معنى نَفْي " كان سيفعلُ " ، فإذا قال [يعني المتكلِّم] هذا قلتَ : ما كان لِيفعلَ، كما كان " لن يفعلَ " نفيًا لِـ سيفعلُ " .

(١) سيبويه : الكتاب ١ : ٤٠٨ الأسطر ١٣ ـ ١٩ ط . بولاق ١٣١٦ هـ.

ونجد سيبويه هنا يضع تركيب " ما كان ليفعلَ " مقابلاً بالنفي لتركيب : " كان سيفعلُ " . وأرى أن تفسيره هذا ساعَد في تقديم التحليل النحوي الذي يقوم على تقدير خبرٍ لِـ " كان " يصلح لأَنْ تتعلَّق به اللام الجارَّة، وقد أشار الأنباري إلى هذا التفسير في المسألة الثانية والثمانين في كتابه "الإنصاف"(١)، والسيوطي في "الهمع"(٢) في عرضهما رأي البصريين عدم جواز إظهار "أنْ " الناصبة للمضارع بعد اللام.

وكان سيبويه واعيًا في عرضه معنى كل واحد من التركيبين؛ فقد قدَّمهما في سياق موقف لغوي اتصاليّ - وإن يكن شديد الإيجاز - ثم نظَّر لعلاقة الإيجاب والنفي بينهما بما يُماثلها في تركيبَين مُقارِبَين.

شاع مصطلح "لام الجحود" في استعمال النحويين متضمِّنًا معنى النفي، والجحود أشدّ؛ فهو إنكار؛ لذلك قال النحاس: "والصواب تسميتُها: لام النفي"(٣)، كما ذكر الزمخشري في مواضع متعدِّدة من " الكشاف " أنَّ اللام لتوكيد النفي(٤) وسمَّاها ابن عقيل " اللام المؤكِّدة للنفي"(٥)، وذكر ابن هشام المعنى السابع من معاني اللام المفردة وهو توكيد النفي(٦) وفي هذا إشارة إلى ما يُنسَب إلى الكوفيين من القول بأنها هي نفسها الناصبة للمضارع، وأنها أفادت توكيد نفي الخبر(٧)، وهو ما عبَّر عنه أبو حيَّان بأن الإتيان باللام " مبالغة في نفي القابلية

(١) الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٥٩٥ تحـ محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية.

(٢) السيوطي: همع الهوامع.

(٣) ابن هشام: مغني اللبيب ٣ : ١٦٨ اللام المفردة تحـ عبد اللطيف الخطيب ط. الكويت ٢٠٠٢ م.

(٤) الزمخشري: الكشاف، الآيات: ٤٣، الأعراف، ٣٣: الأنفال، ١٣: يونس، ٣٣: الحجر.

(٥) ابن عقيل: المساعد ٣ : ٧٧ تحـ محمد كامل بركات، نشر جامعة أم القرى ١٩٨٤ م.

(٦) ابن هشام: مغني اللبيب ٣ : ١٦٨ اللام المفردة تحـ عبد اللطيف الخطيب ط .الكويت ٢٠٠٢ م.

(٧) الزمخشري: الكشاف ما سبق في الحاشية (٢)، أبو حيان: البحر ١ : ٤٢٧، ٣ : ١٢٦، ٣٧٣، وابن هشام: المغني ما سبق في الحاشيتين (١)، (٤)، الأشموني: شرح الألفية ٣ : ٥٥٧ ومواضع أخر.

والوقوع، وهو أبلغ من تسلُّط النفي على الفعل بغير لام"(١)، وفسَّر " الأبلغية " ـ بتعبيره ـ بأن النفي بدون اللام هو نفيٌ للفعل، وأن النفي مع اللام " هو نفي للتهيئة والإرادة، ونفي التهيئة والإرادة للفعل أبلغ من نفي الفعل؛ لأن نفي الفعل لا يستلزم نفي إرادته، ونفي التهيئة والصلاح والإرادة للفعل يستلزم نفي الفعل، فلذلك كان النفي مع لام الجحود أبلغ"(٢).

هذان المعنَيان هما كلُّ ما قدَّمه النحويون في تقعيد تركيب لام الجحود، وقد أوضح المفسِّر أبو حيان وجه التوكيد الذي لَمسه النحويون وسكتوا عن بيانه. وفيما يأتي تناول لِما قدَّمه المفسِّرون النحويون في لام الجحود.

ثانيًا: في كتب التفسير

كان من المفسرين الأوائل نحويون ولغويون قدَّموا فهمَهم للنص القرآني باسم " معاني القرآن " كما فعل الفرَّاء والأخفش، أو باسم " معاني القرآن وإعرابه " كما فعل الزجَّاج. ولا شك في أن الدرس اللغوي بعامة والنحوي بخاصة مكَّنا أولئك العلماء من تناول كتاب الله العزيز بالتفسير؛ فهما العماد القوي لِمن يضطلع بذلك الأمر الجليل.

وأرى أن التفسير الذي قدَّمه الفرَّاء لتركيب " لام الجحود " من البدايات الأولى للتناول النحوي له من حيث ما يطرأ على معنى النفي فيه؛ ففي تفسيره لقول الله تعالى: " وما كان هذا القرآنُ أن يُفترَى " (٣٧: يونس) قال:

" المعنى ـ والله أعلم ـ: ما كان ينبغي لِمثْل هذا القرآن أَنْ يُفترَى، وهو في معنى: ما كان هذا القرآنُ لِيُفترَى، ومِثلُه " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " (١٢٢: التوبة) أيْ: ما كان ينبغي لَهم أن ينفروا؛ لأنهم قد كانوا نفروا كافة، فدلَّ المعنى

(١) أبو حيان: البحر ٤: ٣٥٣.

(٢) أبو حيان: البحر ٦: ٤٢٦.

على أنه لا ينبغي لَهم أن يفعلوا مرة أخرى، ومثلُه " وما كان لِنَبيٍّ أن يَغُلَّ " (١٦١ : آل عمران) أيْ: ما ينبغي لِنَبيٍّ أن يَغُلَّ؛ فجاءت " أنْ " على معنى: ينبغي "(١).

قدَّم الفرَّاء هنا تأويلاً لم يَرِد لدى النحويين، وهو معنى: ما ينبغي، أو: ما كان ينبغي، وربط بين: ما كان ليفعل، و ما كان له أن يفعل، وجعلهما متساويَين في المعنى؛ فأورد قول الله تعالى: " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " (١٢٢ : التوبة) وأورد في مقام المماثلة قوله تعالى: " وما كان لِنَبيٍّ أن يَغُلَّ " (١٦١ : آل عمران)، واشتمل تفسيره للتركيبين على عبارة: " ما ينبغي ".

كما أنه فسَّر قول الله تعالى: " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يُثخِن في الأرض " (٦٧ : الأنفال) بالمعنى نفسه وبالعبارة نفسها؛ قال: "معناه: ما كان ينبغي له يوم بدر أن يقبل فِداء الأسرَى حتى يغلِب على كثيرِ مَن في الأرض"(٢).

ولعلَّ الزمخشري نظر إلى هذا التأويل فعبَّر عنه بالمصدر: الانبغاء(٣)، ثم تبعه أبو حيان فأفاض في تحليل هذا المعنى وتقسيم وقوعه: عقلاً وعادة، وشرعًا وأدبًا(٤). ثم إن أبا حيان في معرض تفسيره لقول الله تعالى: " وما كان لِمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً " (٩٢ : النساء) ينقل عن الراغب قوله: " ما كان لك أن تفعلَ كذا، وما كنتَ لتفعلَ كذا: متقاربان "(٥).

وقد سبق الزجَّاجُ إلى هذا القول بصورة قاطعة في تفسيره لقول الله تعالى: "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله " (١٤٥ : آل عمران) قال: " المعنى: ما كانت

---

(١) الفرَّاء: معاني القرآن ١ : ٤٦٤ تحـ أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب ١٩٥٥ م .

(٢) الفرَّاء: معاني القرآن ١ : ٤١٨ .

(٣) الزمخشري: الكشاف ٣ : ١٥٥ في تفسير " ما كان لكم أن تنبتوا شجرها " (٦٠ : النمل).

(٤) البحر ٣ : ٧٠ في تفسير " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله " (١٤٥ : آل عمران).

(٥) البحر ٣ : ٣٢٠ .

نفسٌ لتموتَ إلا بإذن الله"(١). وأبان أبو حيان عن مقصد الزجاج فقال: "وقدَّره الزجاج على المعنى فقال: وما كانت نفسٌ لتموتَ؛ فجعل ما كان اسمًا خبرًا وما كان خبرًا اسمًا، ولا يريد بذلك الإعراب وإنما فسَّر من جهة المعنى"(٢).

لهذا أجد معنى " الانبغاء " مشتركًا بين التركيبين، وأعرض لبيانه فيما يلي:

أولاً: معنى الانبغاء وأقسامه

عندما عرض أبو حيان لتفسير قول الله تعالى: " ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لى " (٧٩ : آل عمران) قال: "ومعنى " ما كان لبشر أن يؤتيه الله... " وما جاء نحوه: أنه ينفي عنه الكون والمراد: نفي الخبر، وذلك على قسمَين:

أحدهما أن يكون الانتفاء من حيث العقل، ويُعبَّر عنه بالنفي التامِّ، ومثاله قوله تعالى: " ما كان لكم أن تنبتوا شجرها " (٦٠ : النمل)،

وقوله: " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله " (١٤٥ : آل عمران).

الثاني: أن يكون النفي فيه على سبيل الانبغاء، ويُعبَّر عنه بالنفي غير التامِّ، ومثاله قول أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه: " ما كان لابن أبي قُحافة (يعني نفسه) أن يتقدَّم ليصلِّي بين يدَيْ رسول الله ﷺ " .

ومُدرَك القسمَين إنما يُعرف بسياق الكلام الذي النفيُ فيه، وهذه الآية من القسم الأول؛ لأنَّا نعلم أن الله لا يعطي الكَذَبة والمُدَّعين النبُوَّة "(٣).

وعندما عرض لتفسير قول الله تعالى: "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله" (١٤٥ : آل عمران) قدَّم تفصيلا لهذَين الأمرَين وتوسعة؛ قال: " وقَولُ العرب: ما

---

(١) الزجَّاج: معاني القرآن وإعرابه ١ : ٤٧٤ تحـ د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب بيروت ١٩٨٨ م

(٢) البحر ٣ : ٧٠ في تفسير " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله " (١٤٥ : آل عمران).

(٣) البحر ٢ : ٥٠٤. وردَ في " النهر " بحاشية هذه الصفحة: " أحدهما: أن يكون الانتفاء من حيث الفعل"، وقد اخترتُ ما في البحر لأن ما ورد في تفسير الآية ١٤٥ : آل عمران يؤيّده.

كان لزيد أن يفعل، معناه: انتفاء الفعل عن زيد وامتناعه: فتارةً يكون الامتناع في مثل هذا التركيب مُمتنِعًا عقلاً؛ كقوله تعالى: " ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه" (٣٥: مريم)، وقوله: "ما كان لكم أن تنبتوا شجرها" (٦٠: النمل)، وتارةً لكونه مُمتنِعًا عادةً؛ نحو: ما كان لزيد أن يطير، وتارةً لكونه مُمتنِعًا شرعًا؛ كقوله تعالى: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً " (٩٢: النساء)، وتارةً لكونه مُمتنِعًا أدبًا؛ كقول أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه: " ما كان لابن أبي قُحافة (يعني نفسه) أن يتقدَّم ليصلِّي بين يدَيْ رسول الله ﷺ"، ويُفهَم هذا من سياق الكلام(١).

هذا عن معنى الانبغاء، وقد عبَّر عنه أبو حيان بتعبير أدقّ في تفسيره لقول الله تعالى: " أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين " (١١٤: البقرة)؛ فقال إنه "نفي الانبغاء "(٢)، وفي تفسيره لقول الله تعالى: " فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها " (٦٠: النمل) سَمَّاه "نفي الأولَويَّة"(٣). وهو - فيما أرى - أشْمل ما يُفهَم من النفي في كلا التركيبين، وهو نفيٌ يحمل درجات متفاوتة من الشِّدَّة واللِّين - كما يتضح من الآيات والأمثلة فيما سبق - نتج منها أنواع تحمل أسماء ذات دلالات مخصَّصة ممَّا تعارَف البلاغيون على أنه خروج إلى أغراض بلاغية كالنهي والزجْر وما إلى ذلك يأتي تناولُها في مواضعها من هذه الدراسة.

ثانيًا: معنى النفي

والمعنى الذي ينضوي تحته معنى نفي الانبغاء هو النفي المجرَّد، وهو المعنى الأساسي بحكم وجود أحرف النفي في التراكيب التي هي موضع الدراسة، ولِما

(١) البحر ٣: ٧٠ في تفسير " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله " (١٤٥: آل عمران).

(٢) البحر ١: ٣٥٩.

(٣) البحر ٧: ٨٩.

قدَّمه سيبويه من فهم لما يعنيه تركيب: " ما كان ليفعل "؛ إذ قال: " ودخل فيه معنى نفي: كان سيفعل "[١]، وما قدَّمه النحاس من قوله: "والصواب تسميتها لام النفي "[٢]، وما قاله ابن عبد النور المالقي في تناوله لمعاني اللام؛ فقد ذكر المعنى الثاني لها وهو: أن "تكون بمعنى الجحود، وهو النفي"[٣]. والنحويون حين استخدموا تعبير " لام الجحود " كانوا يعنُون النفي لا الإنكار، وإن يكن النفي معها ذا درجات متباينة الشدّة.

ثالثًا: معنى توكيد النفي

والمعنى الذي يعلو معنى النفي المجرد هو معنى النفي المؤكَّد، ويُنسَب القول بهذا المعنى إلى الكوفيين، ووجه التوكيد عندهم كما شرحه ابن هشام في المغني "أن أصل "ما كان ليفعلَ " : " ما كان يفعلُ " ثم أدخلت اللام زيادة لتقوية النفي؛ كما زيدت الباء في: "ما زيدٌ بقائمٍ" لذلك؛ فعندهم أنها حرف زائد مؤكِّد"[٤]. ولكن الأنباري في "الإنصاف" لم يُشِرْ إلى أن اللام عندهم تفيد التوكيد، ونقل عنهم أنه "يجوز إظهار "أَنْ" بعدها للتوكيد"[٥]. ولا أظن الجمع بين الحرفين للتوكيد يُفهَم ممَّا نُقِل من أقوالهم، وأضيف إلى هذا أن الفرَّاء لم يذكر أن لام الجحود تفيد التوكيد، ولم أجد لدى البلاغيين ذكرًا لذلك. وأحسب أن بعض النحويين التالين ـ ومنهم الزمخشري ـ استنجوا أن هذه اللام تفيد التوكيد، ثم نَسب بعضهم ذلك إلى الكوفيين على وجه التعميم.

وفي رأيي أن أقرب ما يمكن قبوله هو ما ارتآه أبو حيان؛ وهو أن التركيب الذي يتضمن اللام أبلغُ من نظيره الذي يخلو منها " فقولك: ما كان زيدٌ ليقومَ أبلغُ

(١) سيبويه: الكتاب ١: ٤٠٨ الأسطر ١٣ ـ ١٩ ط. بولاق ١٣١٦ هـ.

(٢) ابن هشام: مغني اللبيب ٣: ١٦٨ اللام المفردة تحـ عبد اللطيف الخطيب ط .الكويت ٢٠٠٢ م.

(٣) ابن عبد النور المالقي: رصف المباني ص ٣٠٠ تحـ د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق ١٩٨٥ م.

(٤) ابن هشام: مغني اللبيب ٣: ١٦٨ اللام المفردة تحـ عبد اللطيف الخطيب ط .الكويت ٢٠٠٢ م.

(٥) الأنباري: الإنصاف ٥٩٣.

من: ما كان زيدٌ يقومُ؛ لأن النفي في المثال الأول هو نفي للتهيئة والإرادة للقيام، وفي الثاني نفيٌ للقيام، ونفيُ التهيئة والإرادة للفعل أبلغُ من نفي الفعل لأن نفي الفعل لا يستلزم نفي إرادته، ونفيُ التهيئة والصلاح والإرادة يستلزم نفي الفعل، فلذلك كان النفي مع لام الجْحود أبلغَ، وهذه الأبلغية إنَّما هي على تقدير مذهب البصريين "(١). وعبَّر عنه في موضع آخر بأن الإتيان باللام " مبالغة في نفي القابلية والوقوع، وهو أبلغ من تسلُّط النفي على الفعل بغير لام "(٢). ولعلَّ أبا حيان كان ينظر في قوله هذا إلى ما جاء عند الزمخشري في تفسير قول الله تعالى: " لَم يكن اللهُ لِيَغفِرَ لَهم " (١٣٧: النساء) فقد فسَّره بأن قال: " نفيٌ للغفران والهداية - وهي اللُّطف - على سبيل المبالغة التي تُوطِّئها اللام، والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت "(٣).

وأرى هذا المعنى ينتمي إلى المقاصد البلاغية والمُمَيِّزات الأسلوبية بدرجة أكبر من انتمائه إلى المعاني النحوية؛ فالمعنى النحوي الأساسي ما يزال هو النفي العامّ، ولكن درجات التوكيد والمبالغة تمثِّل خروجًا إلى أغراض بلاغية معروفة.

رابعًا: معنى النهي

رجَّحتُ فيما سبق أن تكون المعاني التي قد يؤدِّيها تركيب لام الجحود ونظيره تمثِّل أغراضًا بلاغية يخرج إليها النفي، وهذا واحد منها هو معنى النهي، صرَّح بهذا الكرمانيُّ فيما نقله عنه أبو حيان في تفسير قول الله تعالى: " ما كان لأهل المدينة ومَن حولَهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله " (١٢٠: التوبة): "قال الكرماني: هذا نفيٌ معناه النهي "(٤). ونقل قولاً مماثلاً غير مَعزُوّ في تفسير

(١) البحر ١: ٤٢٦.

(٢) البحر ٤: ٣٥٣.

(٣) الزمخشري: الكشاف ١: ٥٧١، ط. الحلبي، القاهرة.

(٤) البحر ٥: ١١١.

قول الله تعالى: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً " (٩٢ : النساء) قال: "وقيل: هو نفي جواز قتل المؤمن، ومعناه النهي "(١). ومع ذلك نجده في موضع آخر يصرِّح بضِدّ ما أورده في هذين النقلَين؛ ففي تفسيره قول الله تعالى: " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله " (١٤٥ : آل عمران) نجده ـ بعد ما عرض لأقسام الانبغاء التي تناولتُها آنفًا ـ يقول: " ولا تتضمَّن هذه الصيغة نهيًا كما يقوله بعضهم "(٢).

وأرى أن تركيب "ما كان له أن يفعل" قد أفاد معنى النهي في عدة آيات وفهمه بعض المفسِّرين، وأن تركيب "لام الجحود" في قول الله تعالى: " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " (١٢٢ : التوبة) قد يُفهِمه.

خامسًا: معنى الزجر

هذه التسمية تفيد درجة قوية من النهي يكون المقصود بها أن يكُفَّ المعنيُّ بالحديث كفًّا دائمًا عن إتيان عمل غير مستحبّ، وقد صرَّح أبو حيان بهذا المعنى(٣) وقدَّم له مثلاً هو قول الله تعالى: " ما كان لأهل المدينة ومَن حولَهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله " (١٢٠ : التوبة) وقد ذكرتُ قريبًا ما نقله أبو حيان نفسه عن الكرماني من أن النفي في هذه الآية معناه النهي، والصلةُ بين المعنيَين واضحة، والفرق إنما يقع في الدرجة.

ولم أجد ما يفيد معنى الزجر في الآيات التي تضمنت تركيب لام الجحود.

سادسًا: معنى التحريم

هذا المعنى أقوى من الزجر؛ فهو يعتمد على أساس من الفرائض الدينية، أو القوانين البشرية؛ إذ يكون المقصود أن يجتنِب المعنيُّ بالحديث إتيان عملٍ يحرِّمه

(١) البحر ٣ : ٣٢٠.

(٢) البحر ٣ : ٧٠ في تفسير " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله " (١٤٥ : آل عمران).

(٣) البحر ٣ : ٣٢٠.

الدِّين أو يمنعه ذو سلطان دنيوي، والأمر في الآيات القرآنية مخصوص بالتشريع الديني.

وقد عبَّر أبو حيان عن هذا المعنى بعبارة أخرى هي " كون الانبغاء مُمتنعًا شرعًا" وقدَّم له مثالاً قول الله تعالى: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً " (٩٢ : النساء) فجعله قسمًا من أقسام الانبغاء[١]، وفي موضع آخر نقل أن النفي في الآية " معناه النهي "[٢]، ومعلوم أن تعمُّد قتل المسلم بغير سبب شرعي من المحرمات، بل هو من الكبائر.

وهذه الآية وآيات مثلها تضمنت تركيب "ما كان له أن يفعل" قد أفاد النفيُ في بعضها معنى التحريم؛ من ذلك قول الله تعالى: " قل ما يكون لى أن أبدِّله من تلقاء نفسي " (١٥ : يونس) وقوله: " ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء " (٣٨ : يوسف). ومعنى التحريم في هاتين الآيتين واضح؛ أفصح عنه الزمخشري في تفسير آية يونس؛ قال: " ما ينبغي لى، وما يحلّ؛ كقوله تعالى: " ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق " (١١٦ : المائدة). ونظَّر أبو حيان بآية المائدة هذه في تفسيره قول الله تعالى: "ما يكون لنا أن نتكلم بهذا " (١٦ : النور)[٣] كما فعل الزمخشري؛ فكأنما ارتضى معنى: " ما يحِلّ " في آية النور أيضًا.

سابعًا: معنى الامتناع

أريد بهذا أن الحدث لا يتحقق لامتناع الاسم المذكور عن فعله من تلقاء نفسه؛ فوقوع الفعل ممتنع لِهذا السبب، وقد أفردتُ هذا المقصد لأجله، وإن كان أبو حيان قد استعمل لفظ الامتناع مع لفظ الانتفاء، وقسَّم الامتناع إلى الأقسام التي ذكرتُها قبلاً في تناول معنى الانبغاء؛ دعاني إلى ذلك ما نقله أبو حيان من قول الراغب:

(١) البحر ٣ : ٧٠ في تفسير " وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله " (١٤٥ : آل عمران).

(٢) البحر ٥ : ١١١.

(٣) البحر ٦ : ٤٣٨.

"ما كان لك أن تفعل كذا، وما كنتَ لتفعلَ كذا: متقاربان، وهما لا يُقالان بمعنًى، وإن كان أكثر ما يُقال الأول؛ لِما كان الإحجام عنه مِن قِبَل نفسه "(١)، ووضوح ذلك المقصد.

وأرى أن هذا المعيار متحقق في تركيب لام الجحود في عدد غير قليل من المواضع في الاستعمال القرآني؛ حيث تتناول الآية أمرًا متعلِّقًا بإظهار إرادة الله؛ كما في قوله تعالى: "وما كان اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْب" (١٧٩: آل عمران) وقوله: "وما كان اللهُ لِيُعذِّبَهُمْ وأنتَ فيهم" (٣٣: الأنفال)، أو بإظهار استكبار المعاندين من الكفار وغيرهم، أو عنادهم؛ كما في قوله تعالى حكايةً لقول إبليس: " قال لَمْ أكنْ لأسجُدَ لبشر خلقتَه من صلصال من حمإٍ مسنون" (٣٣: الحجر)، أو بيان إصرارهم؛ كما في قوله تعالى: "فما كانوا لِيُؤمنوا بما كذَّبوا مِن قبلُ" (١٠١: الأعراف)، وقوله تعالى: "فما كانوا لِيُؤمنوا بما كذَّبوا به مِن قبلُ " (٧٤: يونس)؛ بل إن ما ذهب إليه البصريون من تقدير خبر"كان" الإرادةَ المنفيَّةَ يقوِّي ما يُفهَم من الآيات من إحجام الاسم المذكور عن الفعل.

ثامنًا: معنى العجْز

يتضح من هذا الاسم خِلاف ما تقدَّم في معنى الامتناع؛ إذ انتفاء وقوع الفعل فيه راجع إلى عدم استطاعة الاسم المذكور القيام بالفعل.

والتركيبان يؤديان هذا المعنى؛ يتضح ذلك في قوله تعالى: "وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله" (١١: إبراهيم)؛ قال أبو حيان في تفسيره: "الآية التي اقترحتموها ليس لنا الإتيان بها، ولا هي في استطاعتنا؛ ولذلك كان التركيب: وما كان لنا"(٢)، ويتضح في قوله تعالى: "كذلك كِدْنا ليوسف ما كان لِيأخذَ أخاه في دين الملِك إلا أن يشاء الله" (٧٦: يوسف)؛ فلم يكن في

(١) البحر ٣: ٣٢٠.

(٢) البحر ٥: ٤١١.

استطاعته ذلك بغير مشيئة الله.

وقد يُفهَم من التركيب معنى التعجيز أي: التحدِّي وإظهار عجز المخاطَب، كما يتضح في قول الله تعالى: "فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها" (٦٠: النمل)؛ أشار إلى ذلك أبو حيان في تفسيره قول الله تعالى: "ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه" (٣٥: مريم)؛ قال: "هذا التركيب معناه الانبغاء؛ فتارة يدلّ من جهة المعنى على الزجر، وتارة على التعجيز"(١) وذكر آية النمل.

تاسعًا: معنى التنْزِيه

يتعلَّق هذا المعنى بما يتنَزَّه البارئ عزَّ وجلَّ عن أن يُسنَد إليه من الأفعال والصفات ما لا يليق بذاته؛ لكَيْلا يُنسَب إليه عجز أو ظلم أو غير ذلك.

واستعمالات التركيبين فيها دلالة على هذا المعنى كما في قول الله سبحانه وتعالى: "أتتهم رسلُهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون" (٧٠: التوبة) وقوله: "وما كان الله ليُعجِزه مِن شيءٍ في السموات ولا في الأرض" (٤٤: فاطر) وقوله: "ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه" (٣٥: مريم)، وهذا ما فسَّر به أبو حيان هذه الآية، فجعل هذا التركيب دالاً على معنى التنْزِيه؛ قال: "هذا التركيب معناه الانبغاء؛ فتارة يدلّ من جهة المعنى على الزجر...، وتارة على التعجيز...، وتارة على التنْزيه كهذه الآية، ولذلك أعقب النفي بقوله: "سبحانه" أيْ: تنَزَّهَ عن الولد... فهو مُنَزَّه عن التوالد"(٢).

وفي الحقّ أن هذا اللفظ ـ أعني: التنْزيه ـ هو التعبير اللائق لِما أشرتُ إليه بدلاً من اللفظ الذي يُستخدَم للتعبير عمَّا يتعلَّق بغير ذات الله ـ أي: المخلوقات والمحدَثات ـ من معنى الاستحالة.

(١) البحر ٦: ١٨٩، وردّ "الانتفاء" مكان "الانبغاء"، وأراه تصحيفًا؛ فأبو حيان تناول التركيب بلفظ "الانبغاء".

(٢) البحر ٦: ١٨٩.

عاشراً: معنى الاستحالة

هو المعنى الذي يعبِّر عن أقصى درجات النفي المتضمَّن في التركيبين؛ فهو يشير إلى عدم إمكان تحقق الوصف أو وقوع الفعل. وقد يختلط هذا المعنى بمعانٍ أخرى كالعجْز والتنْزيه والامتناع.

وممَّا ينضح فيه معنى الاستحالة قول الله تعالى: "وما كان الله ليُعجزه مِن شيءٍ في السموات ولا في الأرض" (٤٤: فاطر)، وقوله: "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله" (١٤٥: آل عمران)، وقوله: "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو مِن وراء حجاب" (٥١: الشورى)، وقوله: "ما كان لله أن يتخذ من ولد، سبحانه" (٣٥: مريم)، وفي هذه الآية تلبَّس معنى التنْزيه بمعنى الاستحالة؛ فأوضح أبو حيان ما بينهما بقوله: "أعقب النفي بقوله: "سبحانه" أيْ: تنَزَّهَ عن الولد؛ إذ هو ممَّا لا يتأتَّى ولا يُتصوَّر في العقول، ولا تتعلَّق به القدرة لاستحالته؛ إذ هو ـ تعالى ـ متى تعلَّقتْ إرادته بشيءٍ أوجده؛ فهو مُنَزَّه عن التوالد"(١)، وقوله: "فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها" (٦٠: النمل)؛ يتلبَّس به معنى التعجيز ـ أي إظهار عجْز المخاطَبين وتحدِّيهم ـ بمعنى الاستحالة، وهذا ما ألجأ أبا حيان إلى أن يقول بالمعنيين في موضعين؛ الأول عند تناوله لمعنى التركيب في تفسيره لآية مريم السالفة؛ إذ قال إنه في آية النمل يدلّ على التعجيز(١)، والآخر في تفسيره آية النمل نفسها؛ قال: "قد تقدَّم أن نفي مثل هذه الكينونة قد يكون لاستحالة وقوعه؛ كهذا، والمعنى هنا أن إثبات ذلك منكم مُحال؛ لأنه إبراز شيء من العدم إلى الوجود، وهذا ليس بمقدور إلا لله تعالى"(٢).

هذه هي المعاني التي رأيتُ أنها ممَّا يؤدِّيه التركيبان المذكوران أحدهما أو

(١) البحر ٦: ١٨٩.

(٢) البحر ٧: ٨٩.

كلاهما فيما تناولتُ من الآيات القرآنية وتفسيراتها، ولا شك في أن لأبي حيان الفضل في التنبيه على أكثرها، وللزمخشري فضل السبق إلى الإشارة إلى شيء منها، وضعتُها في تدرُّج بعد أن أضفتُ إليها ما وجدتُ له بها صِلة وفائدة في الدراسة.

وهذه هي الآيات المتضمنة للتركيبين الآخَرَين ومواضعها من القرآن الكريم:

الآيات التي ورَد فيها التركيب: " ما كان فاعلاً "

١. "ذلك أنْ لم يكن ربُّك مُهلِكَ القُرَى بظلمٍ وأهلها غافلون" (١٣١: الأنعام)

٢. " ..... وما كان الله مُعذِّبَهم وهم يستغفرون "(٣٣: الأنفال)

٣. " ذلك بأنَّ الله لم يكُ مغيِّرًا نعمةً أنعمها على قومٍ... " (٥٣: الأنفال)

٤. " أولئك لم يكونوا مُعْجِزين في الأرض " (٢٠: هود)

٥. " وما كُنَّا مُعَذِّبين حتى نبعث رسولاً " (١٥: الإسراء)

٦. " وما كنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّين عَضُدًا " (٥١: الكهف)

٧. " ما كنتُ قاطعةً أمرًا حتى تشهدون " (٣٢: النمل)

٨. "وما كان ربُّك مُهلِكَ القُرَى حتى يبعثَ في أمِّها رسولاً " (٥٩: القصص)

٩. " وما كُنَّا مُهلِكِي القُرَى إلاَّ وأهلُها ظالِمون " (٥٩: القصص)

الآيات التي ورَد فيها التركيب: " ما كان يفعل "

١. " ما كانوا يستطيعون السمع " (٢٠: هود)

٢. " وما كانوا يُبصِرون " (٢٠: هود)

٣. " تلك من أنباء الغيب... ما كنتَ تعلمها أنت ولا قومُك" (٤٩: هود)

٤. " ولَمَّا دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يُغني عنهم"(٦٨: يوسف)

٥. " فلم يكُ ينفعهم إيمانهم لَمَّا رأوا بأسنا " (٨٥: غافر)

٦. "سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخِذ مِن دونِك مِن أولياء" (١٨: الفرقان)

٧. " وما كنتَ تتلو مِن قبلِه مِن كتاب " (٤٨: العنكبوت)

الوصف النحوي للتركيب: "ما كان فاعلاً"، والمعاني التي يؤدِّيها

حين نضع هذا التركيب بإزاء تركيب "ما كان ليفعل" نرى هنا أنَّ وصفًا مشتقًّا ـ هو اسم الفاعل ـ قد استُعمِل خبرًا لِـ "كان" مذكورًا لا محذوفًا وحُذِف اللام والمضارع المنصوب المقترن باللام؛ فلم تبقَ حاجة إلى تقدير ما يتعلق به اللام، وبقِيَ سائر العناصر كما هو. وكون الخبر هنا اسم فاعل لا يمنع ـ في رأيي ـ من استعمال غيره من الأوصاف المشتقَّة في هذا الموقع.

ومع أن كتب النحو لم تتناول هذا التركيب بشكل مستقلّ ـ اعتماداً على أنه ليس صورة فريدة من صور استعمال النواسخ الفعلية ـ وجدتُ أن الزمخشري في بعض مواضع من تفسيره ـ وعنها نقل أبو حيان ـ يقدِّم لِهذا التركيب ما قدَّمه من معنًى للتركيب "ما كان ليفعل"؛ ففي تفسير قول الله تعالى: "ذلك بأنَّ الله لم يكُ مغيِّرًا نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم" (٥٣: الأنفال) قال: "ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغِ له ولم يصحَّ في حكمته أن غيِّر نعمته عند قوم..."[١]، وفي تفسيرقول الله تعالى: "وما كُنَّا مُعَذِّبين حتى نبعث رسولاً" (١٥: الإسراء) قال: "وما صحَّ مِنَّا صِحَّةً تدعو إليها الحكمة أن نعذِّب قومًا إلاَّ مِن بعدِ أن نبعث إليهم رسولاً"[٢]، وفي تفسير قول الله تعالى: "وما كنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّين عَضُدًا" (٥١: الكهف)

قال في قراءة أبي جعفر بفتح التاء على أنه خطاب للرسول ﷺ: "وما صحَّ لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتزَّ بهم"[٣] فهو يسوِّي بين التركيبين من حيث المعنى مع افتراقهما في بعض العناصر النحوية.

واقتفى أبو حيان أثر الزمخشري فيما لم يتناوله من آيات تضمنت هذا

(١) الزمخشري: الكشاف ٢: ١٣١، أبو حيان: البحر ٤: ٥٠٧.

(٢) الزمخشري: الكشاف ٢: ٣٥٤، أبو حيان: البحر ٥: ٢١٢.

(٣) الزمخشري: الكشاف ٢: ٣٩٣، أبو حيان: البحر ٦: ١٣٧.

التركيب؛ ففي تفسير قول الله تعالى: "وما كان ربُّك مُهلِكَ القُرَى حتى يبعثَ في أمِّها رسولاً يتلو عليهم آياتنا، وما كُنَّا مُهلِكِي القُرَى إلاَّ وأهلُها ظالِمون " (٥٩: القصص) قال: " نزَّه ذاته أن يُهلكهم وهم غير ظالِمين، كما قال تعالى: " وما كان ربُّك لِيُهلِكَ القُرَى بظلم وأهلُها مُصلِحون " (١١٧: هود)؛ دلَّ على أن حاله في غِناه وحِكمته مُنافِيةٌ للظلم بحرف النفي مع لامِه، كما قال الله تعالى: "وما كان اللهُ لِيُضِيعَ إيمانَكم " (١٤٣: البقرة)(١).

ولذلك أستظهر برأيهما في القول بأن التركيب: "ما كان فاعلاً" يدلُّ على جانب ممَّا يدلّ عليه التركيبان السابقان من المعاني التي عرضتُ لَها مِن قبلُ فيدلّ على تأكيد النفي في قول الله تعالى حكاية عن ملكة سبإٍ: "يا أيُّها الملأُ أفتوني في أمري ما كنتُ قاطِعةً أمراً حتى تشهدونِ" (٣٢: النمل)، وعلى العجز أو الاستحالة؛ كما في قول الله تعالى: "أولئك لم يكونوا مُعْجِزين في الأرض" (٢٠: هود)، وعلى التنْزِيه في بقية الآيات؛ فهي تتناول أموراً تتعلَّق بإرادة الله سبحانه ومشيئته.

الوصف النحوي للتركيب: " ما كان يفعل "، والمعاني التي يؤدِّيها

هذا التركيب يقرُب من التركيب السابق؛ والاختلاف الواضح بينهما هو في نوع خبر " كان " المذكور؛ فهو منا جملة فعلية فعلها مضارع، وهو هناك خبر مفرد، وبقية العناصر كما هي.

والمعنى الذي قدَّمه الزمخشري ـ وتابَعه عليه أبو حيان ـ لما تضمَّنه بعض الآيات من هذا التركيب ينحصر في تأكيد النفي أو المبالغة في النفي؛ ففي تفسير قول الله تعالى: "فلم يكُ ينفعهم إيمانهم لَمَّا رأوا بأسنا" (٨٥: غافر) يوازن الزمخشري بين صورتين للنفي؛ فيقول: "فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين قوله تعالى: "فلم يكُ ينفعهم إيمانهم"، وبينه لو قيل: فلَم ينفعْهم إيمانُهم؟ قلتُ: هو من "كان" في نحو قوله

(١) أبو حيان: البحر ٣: ١٧٥.

تعالى: "ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه" (٣٥: مريم)، والمعنى: فلم يصحَّ ولم يستقِمْ أن ينفعهم إيمانُهم"[١]. وفي تفسيره لقول الله تعالى: "سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخِذ مِن دونِك مِن أولياء" (١٨: الفرقان) قال: "ما كان يصحّ لنا ولا يستقيم"[٢]. وفسَّر أبو حيان قول الله تعالى: "ما كانوا يستطيعون السمع، وما كانوا يُبصِرون" (٢٠: هود) بقوله: "ما كانوا يستطيعون السمع: إخبار عن حالِهم في الدنيا؛ على سبيل المبالغة"[٣]. وأحسب أن المراد بالمبالغة هنا هو إظهار حالة مَن يصُدُّون عن سبيل الله ويبغونها عِوَجًا ويكفرون بالآخرة وكأنما فقدوا السمع والبصر، ولا يقدرون على أن يكون لَهم شيء منهما ولو أرادوا، وهذا مِن شِدَّة تأثير عنادهم في نفوسهم، وهذا أقرب ما يكون إلى معنى تأكيد النفي.

خاتمة

تناولَتْ هذه الدراسة أربعة تراكيب نحوية تحمل دلالة على معنى النفي بوجه عام، واتخذتْ مادَّتَها عدداً من الآيات القرآنية وردَتْ فيها تلك التراكيب.

وأوضحَت الدراسة تنوُّعًا في درجات ذلك المعنى بحسب السياق المتضمِّن للنفي؛ ابتداءً من " نفْي الانبغاء " وانتهاءً بالاستحالة، وهذه التراكيب هي:

١. " ما كان لِيَفعلَ " وهو الذي اصطُلِح عليه أنه تركيب لام الجحود.

٢. " ما كان له أن يفعل ".

٣. " ما كان فاعلاً ".

٤. " ما كان يفعلُ ".

وقد تناولَت الدراسة جميع الآيات التي تندرج تحت القسمَين الأوَّلَين، وتناولَت عدداً من الآيات يمثِّل القسمَين الآخرَين؛ ذلك أني لم أضمَّ فيهما نفيَ الكون

(١) الزمخشري: الكشاف ٣: ٣٨١.

(٢) الزمخشري: الكشاف ٣: ٩٢.

(٣) أبو حيان: البحر ٥: ٢١٢.

المجرَّد، واعتنيتُ بما أدعوه: الكون الذي يعبِّر عن إرادة تتوجَّه إلى تحقيق فعل؛ فالأوصاف المشتقَّة الدالَّة على وصف ثابت لا يشملها تركيب "ما كان فاعلاً" كقول الله تعالى مخاطِبًا الرسول ﷺ: "وما كنتَ ثاويًا في أهل مديَن" (٤٥: القصص)، وكقوله تعالى حكاية لقول قوم مريم: "وما كانتْ أمُّكِ بَغِيًّا" (٢٨: مريم) وقوله تعالى: "وما كان عطاءُ ربِّكَ محظوراً" (٢٠: الإسراء). والفعل المضارع الذي تُفهَم منه مع فعل الكينونة قبلَه دلالةُ استمراره في الماضي لم يشمله تركيب "ما كان يفعلُ" في هذه الدراسة؛ لأن النفي منصبٌّ على الفعل في الزمن الماضي بغير أن يكون لمعنًى من المعاني التي أوضحتْها الدراسة؛ مثال ذلك قول الله تعالى حكاية لقول أهل النار: "ولم نكُ نُطعِم الْمسكين" (٤٤: المدَّثِّر)، وقوله تعالى: "وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعُكم" (٢٢: فُصِّلت)، وقوله تعالى: "ما كنتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمان" (٥٢: الشورى) فكأنَّ التقدير: كُنَّا لا نُطعِم المسكين، وكنتم لا تستترون، وكنتَ لا تدري.

وبعد، فإنَّ ما عرضتْه الدراسة يُفصِح عن خصائص معنوية متعدِّدة لأنماط تركيبية معدودة، كشَف عن جوانب منها تناولُ علماء العربية النصَّ القرآني بالتحليل النحوي وبالتفسير وإن لم تنل حظًّا وافراً من الدرس البلاغي المعهود. ولعلَّ الدرس الأسلوبي الحديث أن يقدِّم إضافات نافعة في هذا المجال مستفيداً ممَّا لدَى القدماء ومستعينًا بما جدَّ في الدرس اللغوي من مناهج ووسائل.

والمجال بعدُ يتَّسع لتناول هذه التراكيب وغيرها حيث وردتْ في الاستعمال العربي عند الشعراء والمتحدِّثين والكتَّاب الذين يُنظَر إلى آثارهم على أنها مُثُلٌ تُحتذَى في الصحة والسلامة اللغوية والنحوية وبلاغة التعبير؛ من قصائد وخُطَب ورسائل ومؤلَّفات إبداعية أخرى، فهذا مما يقدِّم نظراً نافعًا للعربية ودارسيها، ومتذوِّقيها، ومستعمِليها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
* إحياء النحو: إبراهيم مصطفى ط ١، لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٩٣٧ م.
* ارتشاف الضرَب: أبو حيان الأندلسي تحـ النماس، الخانجي ١٩٧٨ م.
* الإنصاف: الأنباري تحـ محمد محيي الدين، التجارية القاهرة.
* البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي ط ١، السعادة القاهرة ١٣٢٩ هـ.
* رصف المباني: المالقي تحـ الخراط، دار القلم دمشق ١٩٨٥ م.
* شرح الألفية: الأشموني تحـ محمد محيي الدين، النهضة المصرية ١٩٥٥ م.
* شرح الكافية: الرضي، شركة الصحافة العثمانية استانبول ١٣١٠ هـ.
* الكتاب: سيبويه، المطبعة الأميرية بولاق القاهرة ١٣١٦ هـ.
* المساعِد: ابن عقيل تحـ محمد كامل بركات، جامعة أم القرى ١٩٨٤ م.
* معاني القرآن: الفرَّاء تحـ نجاتي والنجار، دار الكتب القاهرة ١٩٥٥ م.
* معاني القرآن وإعرابه: الزجَّاج تحـ عبد الجليل شلبي ط ١، عالَم الكتب، بيروت ١٩٨٨ م.
* مغني اللبيب: ابن هشام المصري تحـ محمد محيي الدين، التجارية القاهرة.
* همع الهوامع: السيوطي تحـ عبد العال مكرم، دار البحوث العلمية الكويت، ١٩٧٩ م.